الفصل الثاني:
المباحث الصوتية

إن دراسة علمائنا الأقدمين للأصوات العربية لا يضاهيها في العمق والدقة والاستقصاء جميع الدراسات التي يقوم بها اللغويون الآن، وليس معنى ذلك أن الدراسات الحديثة ليس لها فائدة في البحث اللغوي، فلا يمكن لأحد أن يقول مثل هذا، لكن الأمر الذي لا ينكره أحد أن للعلماء القدامى الفضل الكبير بعد الله ﷻ في تسهيل مهمة الدراسة للمحدثين؛ فعلى الرغم من انعدام الأجهزة والآلات، فإنهم استطاعوا أن يصفوا جهاز النطق ووظائف أعضائه وصفا رائعا، فكانوا بحق الرواد لعلم الأصوات اللغوية، وعلى كثير من ملاحظاتهم بنيت المباحث الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها.

عرض ابن المستوفي الكثير من الظواهر الصوتية كالاختلاف في الصوائت والصوامت:

أ. الاختلاف في الصوامت:

أولا: الإبدال:

هو التغير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور أحد الأصوات فيها إلى صوت آخر[1]، مع بقاء المعنى واحدا، نحو: رجل مهذرب ومهذرم أي: كثير الكلام، بمعنى تغير الصوت إلى ما يناسبه في المخرج والصفة[2].

إن علماء العربية يرون أن الإبدال لا يقع إلا بين الصوتين، أو الأصوات المتقاربة المخرج، أو المتحدة المخرج، وكان من بين هؤلاء الذين رأوا هذا الرأي ابن جني وابن سيده، وهذا الرأي خلاف ما جاء به أبو الطيِّب، وقبله ابن السكيت، فكلاهما

---

(1) الإبدال: أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ)، تحقيق عز الدين التنوخي، نشر المجمع العلمي العربي، دمشق، 1960: 1/ المقدمة 5 وما بعدها.

(2) أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: د. رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988: 182.

جاء بألفاظ حدث فيها إبدال بين حروف متباعدة المخرج[1]، يقول ابن جني: ((أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه))[2].

1. إبدال الهمزة ياء:

مخرج الهمزة من أقصى الحلق[3]، وقيل من المزمار[4]، وبعضهم قال من الحنجرة[5]، أما مخرج الياء من بين وسط اللسان ووسط الحنك[6]، وقد تبدل الهمزة من الياء في مواضع[7]، ويكون إبدالها رغبة في التخفيف والميل إلى السهولة، وقد يعود ذلك إلى اختلاف اللهجات.

أورد ابن المستوفي في كتابه أمثلة لإبدال الهمزة ياء فاقت بكثرتها كل أنواع الإبدال الأخرى، فعند شرحه قول أبي تمام:

لا يُكمِنُ الغَدرَ لِلصَّدِيقِ وَلا ... يَخطو اسمَ ذي وُدِّهِ لَقَبُه[8]

قال: ((يجوز أن يكون يخطي أصله الهمز، فأبدل ويكون من أخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره))[9].

---

(1) ينظر: البحث النحوي واللغوي عند علم الدين السخاوي: حامد فرحان الفهداوي، دكتوراه، آداب، بغداد، 1995: 300.

(2) سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985: 180/1.

(3) الكتاب: 433/4.

(4) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط4، 1971: 90.

(5) ينظر: علم اللغة العام، الأصوات: د. كمال بشر، طبعة مصر، 1973: 112.

(6) الكتاب: 433/4.

(7) ينظر: الممتع في التصريف: ابن عصفور (ت 969هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ط5، 1403هـ-1983: 343/1.

(8) رواية الصولي (يخطي) مكان (يخطو).

(9) النظام: 134/3.

وعند شرحه قول المتنبي:

لَهفانَ يَستوبي بِكَ الغَضَبُ الوَرى ☐ لَو لَم يُنَهنِهكَ الحِجَا وَالسُّؤدُدِ

قال: ((يستوبي، يستفعل من الوباء، والوجه يستوبيء بالهمز، فأبدل الهمزة ياء ضرورة وليس تخفيفا))[1]، جاء في الموضح للتبريزي ((يستوبي يستفعل من الوباء، وهو كثرة الموت، وخفف الهمز للضرورة، وتخفيفها في مثل هذا الموضع كالشيء المستمر، فإذا كان قبلها فتحة جعلوها ألفا كقولهم: يكلأ، وإذا كان قبلها ضمة جعلوها واوا، كقولهم: جؤجؤ، وإن كان قبلها كسرة جعلوها ياء، كقولهم: يستوبء ويخطيء))[2].

ومن الأمثلة على هذا الإبدال إبدال همزة هازئ إلى ياء، وذلك عند شرحه قول المتنبي:

كُلَّما رُمتَ لَونَهُ مَنَعَ النا ☐ ظِرَ مَوجٌ كَأَنَّهُ مِنكَ هازي

قال: ((أصل هازي: هازئ، فأبدل الهمزة على غير حد التخفيف، وجعلها وصلا بمنزلة الياء التابعة بعد الزاي في (الاحرازي) في اللفظ))[3]، وقال: ((إن كان خفف الهمزة ونظم الكلمة في البيت بعد التخفيف فقد صارت مثل قاضٍ لا يجب أن تثبت فيه الياء عند الكتب، وإن كان جاء باللفظة مهموزة فلما عجز الوزن عن احتمالها، كذلك جعل الهمزة ياء، فيجب أن تثبت فيها الياء عند الكتب وتخفيف مثل هذا أكثر))، قال التبريزي: ((وليس ذا بقياس؛ لأنه لو خففها تخفيف القياس لكانت الهمزة مقدرة، وإذا كانت مقدرة فكأنها ملفوظ بها، وإذا كانت كذلك لم يجز أن تكون إطلاقا، ولكنه قد جاء مثل هذا كثير))[4].

وعند شرحه قول المتنبي:

كَيفَ لا يَشتَكي وَكَيفَ تَشَكّوا ☐ وَبِهِ لا بِمَن شَكاها المَرازي

---

(1) النظام: 37/7، الموضح: 170/2.

(2) الموضح: 170/2.

(3) النظام: 146/9، وينظر: الموضح: 120/3.

(4) الموضح: 121/3.

قال: ((وأصل المرازي مرازئ بالهمز فأبدل مضطرا))[1].

وعند شرحه قول أبي تمام:

بَسَطَت إِلَـيَّ بَنانَـةً أُسـروعا ☐ تَصِفُ الفِراقَ وَمُقلَةً يُنبوعا[2]

قال: ((الأسروع واحد الأساريع، يقال: أسروع ويسروع، وهو دود أحمر يكون في الرمل تشبه به الأصابع المخضوبة))[3]، ونقل الجوهري[4] عن ابن السكيت[5]: أن اليسروع والأسروع: دودة حمراء تكون في البقل ثم تسلخ فتصير فراشة، والأصل يسروع بالفتح؛ لأنه ليس في الكلام يُفعول، والذي يبدو لي أنهم ضموا أوله إتباعا لضمة الراء[6].

2. النون واللام:

النون: صوت مجهور، وهي والراء واللام في حيز واحد مخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا[7]، أما اللام: فهو من حروف الجهر، ومخرجه من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعيات والثنية[8]. ومما ورد باللام والنون في كلام العرب:

---

(1) النظام: 167/9.

(2) رواية التبريزي (إلي بنانة) ورواية الصولي (إلي أنامل).

(3) النظام: 263/10.

(4) الصحاح: 1228/3 (سرع).

(5) إصلاح المنطق: 161.

(6) الممتع في التصريف: 110/1.

(7) ينظر: المقرب: ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1986: 356، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، 1980: 309، ومباحث في علم اللغة واللسانيات: د. رشيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2002: 355.

(8) المقرب: 355-356، الدراسات اللهجية والصوتية: 309، مباحث في علم اللغة واللسانيات: 163.

حلك الغراب وحنكه، أي: سواده، وعلوان الكتاب وعنوانه، وإسرافيل وإسرافين وغير ذلك[1].

أورد ابن المستوفي في كتابه الإبدال الحاصل بين اللام والنون، فعند شرحه قول أبي تمام:

فَلا يُغيبِ مَحَلَّكَ كُلَّ يَومٍ ☐ مِنَ الأنواءِ ألطافُ السَّحابِ

قال نقلا عن التبريزي: ((ألطاف وألطاف بالنون واللام جميعا))[2].

3. الهمزة والواو:

ذكرنا مخرج الهمزة فيما سبق، أما مخرج الواو فإنه شفوي[3]، وعند بعض المحدثين وعند البعض الآخر هو شفوي حنكي قصي[4]، وقد ذكر بعضهم أن وصف الواو بأنه شفوي ليس خطأ، لأن الشفتين لها دخل كبير في نطقه، ولكن الوصف الدقيق له أن يقال[5]: إنه من أقصى الحنك؛ لأن اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو، وذكر السيوطي[6] ألفاظا تبدل فيها الهمزة واوا منها: أرخ الكتاب وورّخه، وأكدت العهد ووكّدته، ووساده وإساده..، وقد ذكر ابن المستوفي إبدال الهمزة واوا عند شرحه قول المتنبي:

المَنهِياتُ قُلوبَنا وَعُقولَنا ☐ وَجَنباتِهِنَّ الناهِباتِ الناهِبا[7]

قال: ((يقال: وجِنة بكسر الجيم، وأُجنة بضم الهمزة وأصلها وُجنة ولا يستعمل وَجنة))[8]، قال الجوهري: ((الوجنة: ما ارتفع من الخدين، وفيها أربع

---

(1) ينظر: المزهر: 562.

(2) النظام: 141/3.

(3) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 310.

(4) ينظر: علم اللغة: د. محمود السعران، مصر، 1962: 198.

(5) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 310.

(6) ينظر: المزهر: 462/1-463.

(7) رواية الواحدي (وقلوبنا وعقولنا).

(8) النظام: 143/4.

لغات: وَجنة، وُجنة، وأُجنة، وِجنة))[1]، وذكر ابن السكيت[2] نقلا عن الفراء أنه قال: حكى الكسائي وُجنة وأجنة ووَجنة عن أهل اليمامة، قال الفراء: سمعت من بعض كلب وِجنة ووَجنة. والذي يبدو لي أن هذا الإبدال حاصل بسبب تعدد اللغات.

4. الدال والراء:

مخرج الدال ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[3]، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا؛ لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، وقد عبر بعض المحدثين عن ذلك باستعماله لفظ فويق مغارز الثنايا[4].

وقد وردت ألفاظ بالدال والراء ذكرها ابن المستوفي في كتابه، فعقّد شرحه قول المتنبي:

أَلا أَيُّها المالُ الَّذي قَد أَبادَهُ ☐ تَعَزَّ فَهَذا فِعْلُهُ في الكَتائِبِ[5]

قال: ((أباده وأباره أي: أهلكه))[6]، قال الجوهري: ((.. أبادهم الله أي: أهلكهم، وأبارهم الله أهلكهم))[7]. وقد أدى هذا الإبدال إلى حصول شيء من الترادف.

5. إبدال ميم (إما) ياء:

الميم: حرف مجهور، وهي شفوية تنزلق على الشفة، غير أن الخليل سماها مطبقة؛ لأن الشفة تطبق إذا لفظ بها[8]، فعند شرحه قول المتنبي:

إِيما لِإِبقاءٍ عَلى فَضلِهِ ☐ إِيما لِتَسليمٍ إِلى رَبِّهِ

---

(1) الصحاح: 2212/6 (وجن).

(2) ينظر: إصلاح المنطق: 117.

(3) ينظر: الأصوات اللغوية: 62، وينظر: علم اللغة العام، الأصوات: 101-102.

(4) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: جان كانتينو، تعريب صالح القرمادي، تونس، 1966: 74.

(5) المزهر: 547/1.

(6) الصحاح: 450/2 (بيد).

(7) نفسه (597/2 (بور).

(8) مباحث في علم اللغة واللسانيات: 165.

قال[1]: العرب تبدل مكان الميم ياء في (إما) المكسورة، وأما المفتوحة كراهية اجتماع المثلين، وربما فتحوا همزة المكسورة، وإبدال الميم ياء في (إما) أمر أقر شذوذه الأشموني، ولعل السبب في هذا الإبدال هو الهروب من التضعيف[2]، والذي يبدو لي أن الأمر في قول المتنبي في إيما مكسورة الهمزة لا إبدال فيه، بل هو حذف الميم الأولى في إما ومد الكسرة قبلها.

6. الفاء والقاف

مخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وهو كذلك عند المحدثين وأطلقوا عليه (الشفوي الأسناني)[3]، أما مخرج القاف فهو من أقصى اللسان[4].

وقد ذكر ابن المستوفي الإبدال بين القاف والفاء، فعند شرحه قول المتنبي:

وَإِنَّ القِيامَ الَّتي حَولَهُ ◻ لَتَحسُدُ أَرجُلَهَا الأَرؤُسُ[5]

قال[6]: روى أبو العلاء (وإن الفئام)، وقال: الفئام: الجماعة من الناس، والرواية الفئام بالفاء، ولو رويت بالقاف لكان ذلك صحيحا، إلا أن قائل البيت اختار الفاء؛ لأن الفئام لا تقع إلا على جماعة كثيرة، والقيام تقع على ثلاثة فما زاد[7]. لذلك يمكن القول بوقوع الإبدال بين هذين الحرفين بسبب اختلاف الرواية.

---

(1) النظام: 364/4.

(2) دراسة لغوية في كتاب الموضح للتبريزي: زينب علي الجميلي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة بغداد، 1997: 93.

(3) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 300.

(4) نفسه: 305.

(5) رواية ابن عدلان والتبريزي (الفئام)، ورواية أبي الفتح وابن المستوفي (القيام)، ورواية للواحدي (أقدامها) مكان (أرجلها).

(6) ينظر: النظام: 402/9.

(7) ينظر: الموضح: 193/3.

7. اللام والياء:

ذكر ابن المستوفي الإبدال بين اللام والياء عند شرحه قول أبي تمام:

مُعاوِدَ الكِبرِ وَالسُمُوَّ عَلَى ☐ أَعيادِهِ باذِخاً عَلَى جُمَعِه

قال: ((كان في بعض النسخ (معاود الكبر والتدلي)، فإن صح ذلك فإنه أراد: التدلل، فأبدل من اللام الياء؛ لأن ذلك يفعل في التَّفَعُّل إذا كان من ذوات التضعيف، نحو تظَنّيتُ تظنّيا، وتقضى البازي تقضّيا))[1]، والذي يبدو لي أن سبب الإبدال بين الحرفين هو الخوف من اجتماع المثلين.

ثانيا: القلب المكاني:

القلب في اللغة: هو تحويل الشيء عن وجهه، إذ يقال: قلبه يقلبه قلبا[2]، وقيل: سمي القلب العضو بهذا الاسم؛ لتقلبه.

أما اصطلاحا: فهو تقديم وتأخير في أصولت الكلمة، لتكوين كلمة أخرى بشرط بقاء المعنى على حاله في الكلمتين والتي وقع فيها القلب، وقد عرف لدى المعاصرين باسم القلب المكاني[3].

قال السيوطي[4] نقلا عن ابن فارس[5]: ((من سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة (التركيب)، فأما الكلمة فقولهم: جَذَبَ وجَبَذَ وهو كثير، وأما في التركيب فقولهم: وكأنَّ للصقًا أوراكها، إنما أراد: كأنّ أوراكها الصقا)).

عني ابن المستوفي في كتابه بنوعين من القلب: القلب الإفرادي، والقلب التركيبي، فالإفرادي يتعلق بالكلمة، والتركيبي يتعلق بالجملة، وقد كان ذكره الإفرادي أكثر من التركيبي، فمن القلب الإفرادي:

---

(1) النظام: 227/10.

(2) اللسان: 405/1 (قلب).

(3) ينظر: فقه اللغة العربية: د. كاصد الزيدي، مطبعة دار الكتب، الموصل، 1987: 252، وظاهرة القلب المكاني في العربية: عبد الفتاح الحموز، دار عمار، عمان، 1986: 16.

(4) المزهر: 476/1.

(5) الصاحبي في فقه اللغة: 329.

1. اللأواء، اللولاء:

ذكر هذا عند شرحه قول أبي تمام:

أما تَرى ما أَصــدَقَ الأنــواءَ ◻ قَد أفنَتِ الحَجرَةَ وَاللَــأواءَ[1]

قال: ((اللأواء واللولاء: الشدة والجدب وهي من المقلوب))[2]، والذي يبدو لـــي أن فيها إبدالا بين الهمزة واللام، وقلبا مكانيا من خلال تقديم الهمزة وتأخيرها.

2. الوأي، واء:

عند شرحه قول أبي تمام:

وَمالي شَفيعٌ غَيرَ نفسكَ إِلَــي ◻ لَكِلتُ مِنَ الدُنيا عَلى حُسنِ وائِها

قال: ((واء هو من مقلوب الوأي، الذي هو الوعد، جعله مــن وأى ووای وواء، مثل رأى وراء وناى وناء))[3].

3. مخشلب ومشخلب:

عند شرحه قول أبي تمام:

بَياضُ وَجهٍ يُريكَ الشَمسَ حالِكَةً ◻ وَدُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُرَّ مَخشَلَبا

قال: يقال: ((مخشلب ومشخلب على القلب، ولم ينقل العرب مثــل هــذا البنــاء وكلاهما روايتي))[4]، وذكر الخليل: ((أن مشخلبة كلمة عراقيــة لــيس علــى بنائهــا شيء من العربية، وهو الذي يتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي، وبدء هذا الاســم أن جارية كانت تتحلى به، ومشخلبة اسم للجارية رآها رجل عليها ذلك الحلــي... فتــسمى الجارية مخشلبة بما عليها من الحلي والخرز))[5]، وقال الجواليقي: ((مخشلب ومشخلب، على القلب))[6].

---

(1) رواية التبريزي: ألا ترى مكان أما ترى.

(2) النظام: 321/1.

(3) نفسه: 324/1.

(4) نفسه: 119/4. والياء في قوله (روايتي) تعود إلى أبي العلاء.

(5) العين: 325/4-326 (شخلب).

(6) المعرب من الكلام الأعجمي: الجواليقي (ت 540هـ)، تحقيق وشرح أبي الأشبال أحمــد محمــد شاكر، طهران، 1966: 315.

4. راءَ ورأى:

عند شرحه قول المتنبي:

لا خَلقَ أَسمَحُ مِنكَ إِلّا عــارِفٌ ☐ بِكَ راءَ نَفسَكَ لَم يَقُل لَكَ هاتِها

قال: ((راء مقلوب رأى...))[1].

5. الوحج والوجح

عند شرحه قول أبي تمام:

قَد كانَ يَعلَمُ إِذ لاقى الحِمامَ ضُحىً ☐ لا طالِباً وَزَراً مِنهُ وَلا وَحَجــا

قال: ((الوزر والوحج الملجأ، وهو الوجح فقلب...))[2].

6. الهاري والهاير:

عند شرحه قول أبي تمام:

مَكراً بَــنى رُكنَيــهِ إِلّــا أَنَّــهُ ☐ وَطَدَ الأَساسَ عَلى شَفيرِ هارِ

قال: ((الهاري: أراد الهاير، فقلب...))[3].

---

(1) النظام: 70/5، ينظر: معجم المتنبي: دراسة لغوية تاريخية: د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1397هـ-1977: 132.

(2) النظام: 131/5.

(3) نفسه: 93/8، وينظر: المزهر: 481/1.

ثالثا: الإدغام:

الإدغام في اللغة: ((مأخوذ من أدغمت الفرس اللجام إذا أدخلته في فيه، ومنه إدغام الحروف، يقال: أدغمت الحرف وادّغمته على افتعلته))[1].

الإدغام في الاصطلاح: الأصل في الإدغام أنه تقريب صوت من صوت[2]، وهو قسمان[3]:

1. الإدغام الأكبر: وهو قسمان:

الأول: هو الإدغام المألوف المعتاد، وذلك بأن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، نحو: قطع، والأصل قطْطَع، والذي أراه أن هذا النوع من الإدغام يعد تضعيفا أيضا.

الثاني: أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، نحو: (ود) في اللغة التميمية.

ذكر ابن المستوفي هذه الظاهرة عند شرحه قول المتنبي:

وَمَن يَظُنَّ كَثرَ الحَبِّ جوداً ☐ وَيَنصِبُ كَحتَ ما كَثَرَ الشباكا[4]

قال: ((يَظُنّ يفتعل من الظن وأصله يظتن، فقلبت التاء طاء، لتوافق الظاء قبلها بالإطباق والجهر فصار التقدير يظطن ثم أبدلت الطاء ظاء، لتدغم في الظاء بعدها فأدغمت ظاء مشددة، واجتمعت نونان متحركتان، فأسكنت الأولى منها، ثم أدغمت في الثانية فصار اللفظ بها يَظُنّ))[5].

والذي يبدو لي أن المراحل التي مرت بها لفظة (يَظُن) من قلب وإبدال وإدغام هو من أجل تحقيق ظاهرة المماثلة في اللغة.

---

(1) الصحاح: 1920/5 (دغم).

(2) ينظر: الخصائص: 139/2.

(3) نفسه: 139/2-141.

(4) رواية التبريزي: يطّن مكان يظّنّ.

(5) النظام: مسودة الجزء 13: 3591-3592.

رابعا: التلوين الصوتي اللغوي:

((عني اللغويون العرب بتصنيف وجمع الإبدال الصوتي المأثور من العرب في اللهجات، وألفوا في الإبدال تآليف عديدة جمعوا فيها بين الأصوات التي حدث فيها الإبدال، وأتوا بشواهد شعرية وأقوال مأثورة، فكان منهم مصنفون للأصوات المبدلة جامعون لما خص هذه الأصوات من أفواه العرب القدامى، أما ما يخص الإبدال اللغوي فلم يأت منه نظرية في علم اللغة العربية، كما لم تصل بهم الحال إلى وضع قاعدة لغوية للتناظر بين البنية والدلالة، على حين أن الإبدال اللغوي الصوتي يدخل في خصائص اللغة وجذورها العميقة، ويضع لها سنة متبعة لإثراء اللغة في توليد الألفاظ الجديدة الدالة على المعنى بالتناغم الصوتي بين البنية والمفهوم))[1].

إن اللغة العربية هي اللغة والوحيدة التي تمتلك هذه الدقة الرائعة في البنية متقابلة بدقة متناهية مع المعاني في العمق والوصف والتكامل والتأثير في النفس والفكر، وهذه تدل بلا شك على مدى الفرق الدلالي في اختلاف حركة الرسم الواحد [2].

وقف ابن المستوفي مع ظاهرة التلوين الصوتي من خلال المثنيات والمثلثات في اللغة، وإليك تفصيل في هذا:

1. المثنيات:

يقصد بالمثنيات: إيراد كلمتين متفقتين في ترتيب الحروف، مختلفتين في حركة فاءاتها، ويترتب على ذلك اختلاف المعنى بينهما[3].

---

(1) علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات: د. نشأة محمد رضا، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997: 143.

(2) ينظر: نفسه: 144.

(3) جهود الكرماني النحوية واللغوية في شرح صحيح البخاري: سهيلة محمد طه البياتي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة الموصل، 1995: 97.

واللغويون القدامى كانت عنايتهم بالمثلثات أكثر من المثنيات، غير أن هناك إشارة في أدب الكاتب[1] إلى المثنيات، إذ عقد لها بابا سماه باب الحرفين اللذين يتقاربان في اللفظ والمعنى ويلتبسان، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر، وكذلك هناك إشارة إليها في إصلاح المنطق[2]، مثل: فَعِل وفَعَل باتفاق المعنى، وفَعِل وفَعَل باختلاف المعنى.

وعني ابن السكيت في المثنيات عنايته بغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى، ولكنه لم يشر بصريح اللفظ إلى تسميتها بل يفهم ذلك من إشارته إلى تغيير الدلالة عند تغيير حركة فاء الكلمة، ليدل على التلوين الصوتي، والأمثلة كثيرة في كتاب النظام، منها:

□ العُكوب والعَكوب:

عند شرحه قول أبي تمام:

مَزَّقتُ ثَوبَ عُكوبِها بِرُكوبِها □ وَالنارُ تَنبُعُ مِن حَصى المَعزاءِ

قال: ((يروى بضم العين وبفتحها من لفظة العكوب، فإذا ضمت فكأنه في الأصل مصدر عكب، وإذا فتحت العين فكأنه وصف سمي به الغبار، عكب فهو عكوب، مثل: ضرب فهو ضروب))[3].

□ السَّراء والسِّراء:

عند شرحه قول أبي تمام:

أَلَم يَجلِبِ الخَيلَ مِن بابِلٍ □ شَوازِبَ مِثلَ قِداحِ السَّراءِ

---

(1) أدب الكاتب: ابن قتيبة (ت 276هـ)، حققه وضبط غريبه وشرح أبياته والمهم من مفرداته محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مطبعة السعادة، مصر، 1382هـ-1963: 238 وما بعدها.

(2) إصلاح المنطق: 30.

(3) النظام: 253/1.

قال: ((السراء: شجر صلب يعمل منه القسي، ويروى السِّراء بكسر السين جمع سروة، وهي شجرة وجمعها سرو وسراء))[1]، ذكر الجوهري[2]: أن السَّراء بالفتح شجر تتخذ منه القسي. وهذا تأييد لابن المستوفي، أما السِّراء بالكسر فيقول الجوهري: ((إنها جمع سروة وهي سهم صغير...))[3].

□ الفَخار والفِخار:

عند شرحه قول أبي تمام:

أَذُهلَ بنَ شَيبانَ ذُهلَ الفَخارِ □ وَذُهلَ النَوالِ وَذُهلَ العَلاءِ

قال: ((الفِخار بكسر الفاء وفتحها، والكسر مصدر فاخرت وهو الأكثر))[4].

□ العَرَض والعُرْض:

عند شرحه قول أبي تمام:

أَتَترُكُ حاجَتي غَرَضَ التَوانِي □ وَأَنتَ الدَلوُ فيها وَالرِشاءُ

قال: ((ويروى عرض بالعين المهملة المضمومة، والعرض بفتح العين المهملة والراء ما يعرض للإنسان من قصد، وعرض بالراء المضمومة والساكنة الجانب والناحية))[5]، قال الجوهري: ((العرض: ما يعرض للإنسان من مرض وغيره، والعُرض: ناحية من أي وجه جئته))[6].

□ بُسيطة وبَسيطة:

عند شرحه قول المتنبي:

وَجابت بُسَيطَةَ جَوبَ الرِدا □ ءِ بَينَ النَعامِ وَبَينَ المَها

---

(1) للنظام: 276/1.

(2) للصحاح: 2376/6 (سرا).

(3) نفسه: 2375/6 (سرا).

(4) للنظام: 286/1.

(5) نفسه: 320/1.

(6) الصحاح: 1083/3 (عرض).

قال[1]: بسيطة بفتح الباء وضمها، موضع معروف بين الكوفة ومكة من أرض نجد[2].

□ المَذهب والمُذهب:

عند شرحه قول أبي تمام:

ذَهَبَت بِمُذهَبِهِ السَماحَةُ وَالتَوَت □ فيهِ الظُنونُ أَمَذهَبٌ أَم مُذهَبُ[3]

قال نقلا عن الصولي: ((المَذْهب واحد المذاهب، والمُذْهب هو اللوح والسفر من الكتب التي فيها السير))[4]، ونقل الجوهري[5]: أن (مُذهب) كل شيء مُموّه بالذهب، والمَذهب: الممر والسبيل والطريق.

□ النَّهي والنُّهى:

عند شرحه قول أبي تمام:

إِذا البَعيدُ الـوَطَنِ اِنتابَهُ □ حَلَّ إِلى نَهيٍ وَجِزعٍ خَصيبِ[6]

قال: النَّهي بكسر النون وفتحها موضع يجتمع فيه الماء، قال ابن السكيت[7] فيما نقله عن أبي عبيدة: تميم من أهل نجد يقولون: نِهْيٌ للغدير، وغيرهم يقولون: نَهْيٌ. وهذا ما عليه الجوهري[8]. والذي يبدو لي أن الاختلاف في الحركة يعود إلى اختلاف اللهجات، مما يؤدي إلى الاختلاف في المعنى.

---

(1) النظام: 459/1.

(2) ينظر: شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، مصر، د.ت: 163/1.

(3) رواية الصولي والتبريزي (فالتوت) مكان (والتوت).

(4) النظام: 171/2.

(5) الصحاح: 129/1 (ذهب)، وينظر: علوم اللغة في الآيات المعجزات: 145.

(6) رواية الصولي والتبريزي: إذا البعيد، ورواية المخطوطة: إذا القريب، وقال د. خلف رشيد نعمان: عندي أن البعيد هي الصواب، ولذلك ذكرتها في المتن.

(7) ينظر: إصلاح المنطق: 31.

(8) ينظر: الصحاح: 2517/6 (نهى).

☐ الوَضاء والوُضاء:

عند شرحه قول المتنبي:

لِسَيفِ الدَولَةِ الوَضّاءُ تُمسي ☐ جُفوني تَحتَ شَمسٍ ما تَغيبُ[1]

قال نقلا عن أبي الفتح: ((الوَضاء: هو الوضيء والوضاء الحسن))[2]، وذكر ابن السكيت[3]: الوضاء بالتشديد إذ قال: رجل وضاء أي وضيّ وعليه الجوهري[4].

☐ الصُّوار والصُّوار:

عند شرحه قول أبي تمام:

نُوارٌ في صَواحِبِها نُوارُ ☐ كَما فاجاكَ سِربٌ أَو صِوارُ

قال: ((الصُّوار بكسر الصاد وضمها القطيع من بقر الوحش))[5]، وعليه ابن السكيت[6]، والجوهري[7].

☐ البراز البَراز:

عند شرحه قول المتنبي:

يا مُزيلَ الظَلامِ عَنّي وَرَوضي ☐ يَومَ شُربي وَمَعقِلي في البَرازِ

قال: ((البِراز بكسر الباء وفتحها جميعها، والصحيح فتحها))[8]، قال الجوهري: ((البِراز: للمبارزة في الحرب، البَراز: الفضاء الواسع..))[9].

---

(1) قال د. خلف رشيد نعمان: انفرد ابن المستوفي برواية (لسيف الدولة) باللام، وكذلك انفردت المخطوطة برواية (تمشي) وهو تصحيف.

(2) النظام: 16/4.

(3) إصلاح المنطق: 109.

(4) الصحاح: 81/1 (وضأ).

(5) النظام: 5/8.

(6) إصلاح المنطق: 106.

(7) الصحاح: 716/2 (صور).

(8) النظام: 153/9.

(9) الصحاح: 865/3 (برز).

□ مَلء وملء:

عند شرحه قول أبي تمام:

ما شَدَدتُ الأوذامَ في عُقَدِ الأكـ ـ □ ـرابِ حَتّى وَرَدتُ مِلءَ الحِياضِ

قال[1]: يجوز ملء الحياض بفتح الميم وكسرها، قال ابن السكيت[2]: الملء مصدر ملأت الإناء املؤه ملأ، والمِلء: الاسم وهو ما يأخذه الإناء الممتلئ، وعليه الجوهري[3].

□ دَولة ودُولة:

عند شرحه قول أبي تمام:

نَفسي فِداؤُكَ إِن كانَت فِداءَكَ مِن

صَرفِ الحَوادِثِ وَالأَيّامِ وَالدُوَلِ

قال: ((قيل: إن الدَولة بالضم والفتح بمعنى واحد))[4]، قال ابن السكيت فيما نقله عن أبي العلاء[5]: الدُولة في المال، والدَولة في الحرب، قال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في الحرب والمال سواء، وقال يونس: أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما، وعلى هذا الجوهري[6].

وذكر ابن المستوفي أمثلة كثيرة عن هذه الظاهرة[7].

---

(1) النظام: 117/10.

(2) ينظر: إصلاح المنطق: 20.

(3) ينظر: الصحاح: 72/1-73 (ملأ).

(4) النظام: مسودة الجزء 3762/13.

(5) ينظر: إصلاح المنطق: 115.

(6) ينظر: الصحاح: 1700/4 (دول).

(7) للمزيد من الأمثلة عن المثنيات، ينظر: النظام: 306/8، 340، 383، 189/9، 339، 346، 289، 349، 199/10، 230، 270.

2. المثلثات:

كلمة المثلث أو التثليث في اللغة العربية تعني أن شيئا ما يوصف بثلاثة أشياء، قال ابن منظور[1]: أرض مثلثة لها ثلاثة أطراف.. والمثلوث من الجمال ما قل على ثلاثة قوى.. وشيء مثلث: أي ذو أركان ثلاثة[2]. والمثلث من الشراب الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه.

أما في الاصطلاح: فيقول قطرب: ((المثلث: هو اسم يرى في الكلمة واحدا، ويصرف على ثلاثة أوجه)[3]، ومنهم من عرّفه بأنه[4]: ثلاث كلمات متفقة في حرفها مع اختلاف حركة فائها، أما عند ابن السيّد البطليوسي[5]: فإنها لم تقتصر على اختلاف فاء الكلمة بثلاث حركات، بل تعداه إلى عين الكلمة، إذ يعد عنده من المثلثات؛ ولذلك عرّفه بأنه: ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه، ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط أو بحركة عينه فقط، أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين.

والذي يبدو لي أن المثلث ما كانت فاؤه أو عينه على الحركات الثلاث، اختلف المعنى أم لم يختلف، ولم يعن ابن المستوفي بالمثلثات عنايته بالمثنيات، فالألفاظ التي نبه عليها لا تتجاوز لفظة واحدة وهي لفظة أباغ، وذلك عند شرحه قول أبي تمام:

وَهُمُ بِعَينِ أُباغَ[6] راشوا لِلوَغى ☐ سَهمَيكَ عِندَ الحارِثِ الحَرّابِ[7]

---

(1) ينظر: لسان العرب: 369/1 (ثلث).

(2) ينظر: الصحاح: 276/1 (ثلث).

(3) المثلث: ابن السيد (ت 521هـ)، تحقيق د: صلاح الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982: (مقدمة): 47/1.

(4) ينظر: جهود الكرماني النحوية واللغوية: 99.

(5) المثلث: 298/1.

(6) هو موضع بين الكوفة والرقة، الصحاح: 1315/4 (ابغ).

(7) رواية الصولي والتبريزي: راشو للوغى مكان راشوا في الوغى.

قال: ((أباغ بضم الهمزة وفتحها وكسرها، وقد ورد أباغ على وزن قطام))[1].

إن هذا التلوين الصوتي مزية مهمة من مزايا لساننا العربي تلك التي يمتاز بها بالفرقان الدقيق في التصويب، ومثاله كثير في العربية يفتقر إلى أيد ماهرة وعيون باهرة، وهذا ما رأيناه عند ابن المستوفي من خلال المثنيات والمثلثات.

ب. الاختلاف في الصوائت:

أولا: الإشمام:

الإشمام في اللغة: شَمِمْتُ الشيء أشمه شمّا وشميما بالفتح أشمُّ لغة.. وشمام اسم جبل.. والشم ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه.. واشمام الحرف أن تشمه الضمة والكسرة، وهو أقل من روم الحركة، لأنه لا يسمع وإنما يتبين بحركة الشفة، ولا يعتد بها حركة؛ لضعفها[2].

والإشمام: هو صوت بين الكسرة والضمة، وذلك بجعل الحركة بينها مثل الإمالة بين الفتحة والكسرة، أو هو حركة في الشفتين من غير صوت، ونجد هذا عند سيبويه وسائر القراء، وسيبويه يعد الإشمام بَصَريا لا سمعيا، أي: رؤية العين حركة الشفتين لا سماع الأذن الصوت الملفوظ، ولذلك قال سيبويه: ((وأما الإشمام فليس إليه سبيل، وإنما كان ذا في الرفع؛ لأن الضمة من الواو فأنت تقدر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئت، ثم تضم شفتيك؛ لأن ضمك شفتيك لتحريكك بعض جسدك وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت الأذن، ألا ترى أنك لو قلت: هذا مَعْنٌ فأشممت، كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم))[3].

ولابن المستوفي لم يقف عند هذه الظاهرة إلا في موضع واحد، عند شرحه قول أبي تمام:

---

(1) النظام: 90/2.

(2) ينظر: المنصف لكتاب التصريف للمازني: شرح ابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1954: 149/1.

(3) الكتاب: 171/4.

جِيدَتْ بِداني الأكنافِ ساحَتُها □ نائي المَدى واكِفِ الجَدى سَرِبِهْ

قال: روى الآمدي: ((جُدت بداني.. قال: جدت: فعلت من الجود من جاد يجود دعاء له بأن يجوده الغيث، وهذا القول من الآمدي غريب، رواية وشرحا، فقد تقدم أنه دعاء للدار، وأن اللفظ (جيدت) لا (جدت) ولعله أراد جدت فأشم الضمة كما قالوا: قل، ويكون أيضا ثقيلا بلفظة شنعاء، ولكنه إنما قال: دعا له على ضمير المذكر))[1].

ثانيا: الإعلال:

لغة: عل يعلّ واعتلّ مَرِض، والعلة المرض[2].

اصطلاحا: هو التغيير الذي يطرأ على أحد حروف العلة الثلاثة (الألف والواو والياء)، وتلحق بها الهمزة للتخفيف، بحيث يؤدي التغيير إلى حذف الحرف أو تسكينه أو قلبه[3]. أي: هو تغيير يطرأ على حرف العلة للتخفيف[4]، وهو على أنواع منه القلب والحذف والإسكان أو النقل[5].

ذكر ابن المستوفي الإعلال في كتابه، فعند شرحه قول أبي تمام:

وَمُزَحزَحاتي عَن ذَراكِ عَوائِقٌ □ أَصحَرنَ بي لِلعَنقَفيرِ المُؤيِدِ

قال نقلا عن أبي زكريا[6]: لفظ (المؤيد) جاء على غير ما يجب في الأكثر؛ لأنه أخذ من الأيد، فهذا المثال يعتل في مُفْعِل، إلا حروفا جاءت نوادر مثل قولهم: امرأة مُغْيِل: إذا أرضعت الغيل، ومُغْيب في معنى مُغِيبة، وأكثر الناس ينشدون قول طرفة:

---

(1) النظام: 116/3.

(2) ينظر: لسان العرب: 467/11 (علل).

(3) ينظر: المهذب في علم التصريف: 313-314.

(4) ينظر: التعريفات: 30، وينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي، ط5، مطبعة دار الكتب المصرية، بالقاهرة، 1345هـ-1927: 112.

(5) ينظر: المهذب في علم التصريف: 314.

(6) ينظر: النظام: 22/6.

..... □ أَلَستَ تَرى أَن قَد أَتَيتَ بِمُؤيِدِ[1]

فيقدمون الهمزة على الياء، يأخذونه من الوأد والوئيد، قال: ذكر الجوهري[2] (المؤيد) مثال (المؤمن)، الأمر العظيم والداهية، ثم أنشد بيت طرفة السابق.

وعند شرحه قول المتنبي:

بَلَدٌ أَقَمتَ بِهِ وَذِكرُكَ سائِرٌ □ يَشنا المَقيلَ وَيَكرَهُ التَعريسا

قال: (أراد يشنأ، فأبدل الهمزة ياء ثم أبدل ألفا؛ الانفتاح ما قبلها وهو على غير قياس...)[3].

ثالثا: الحذف، ويشمل:

1. حذف الهمزة:

عند شرحه قول المتنبي:

وَيلُمِّها خُطَّةً وَيلُمِّ قابِلِها □ لِمِثلِها خُلِقَ المَهرِيَّةُ العَودُ

قال: ((ويَلُمّها: تعجب منه، والأصل: ويلٌ لأمّها، ثم حذفت الهمزة والتنوين ولام ويل، كأنه يتعجب منها وممن تقبلها))[4]، قال التبريزي: ((ويَلُمّ: من شواذ الكلام، وهي عندهم: (وي) التي تستعمل للتعجب، ثم جاؤوا باللام الخافضة، فمنهم من يضمها لإسقاط الهمزة في (أم)، كأنه نقل الضمة إلى اللام، ومنهم من يجعلها مكسورة على أصل ما يجب من لام الخفض))[5]. وعلى هذا الرأي ذهب البرقوقي[6].

---

(1) ديوان طرفة: 46، وصدره: (يَقولُ وَقَد تُرَّ الوَظيفُ وَساقُها).

(2) ينظر: الصحاح: 443/2 (أيد).

(3) النظام: 383/9، الواضح: 179/3.

(4) النظام: 313/7.

(5) الموضح: 314/2.

(6) ينظر: شرح البرقوقي: 147/2.

والذي أراه أن رأي التبريزي، ومَنْ ذهب إلى أن كلمة (ويلمها) مركبة من (وي) ولام الجر) بعيد، والأصح فيما أراه أن يكون المحذوف هو الهمزة، بقصد التخفيف فيما يكثر استعماله[1]. وفي (ويلم) الكثير من الشواهد[2].

وعند شرحه قول المتنبي:

مَرَتكَ ابنَ إبراهيمَ صافيَةُ الخَمرِ ☐ وَهُنِّئتَها مِن شارِبٍ مُسكِرِ السُكرِ

قال: ((مرتك: أراد مرأتك، فحذف الهمزة اضطرارا، وكان يجب أن يقول امرأتك؛ لأنه إنما يقال: مَرأك بلا ألف إذا أتبعت هناك، يقول: هنأك ومرأك، فإذا أفردوها قالوا: أمرأني الطعام، واستمرأني الطعام، إلا أنه قد حكى عنهم، مرأني الطعام وليس قبله هنائي))[3]، وجاء في الموضح[4]: ((مرتك: أصله الهمز؛ لأنه من قولهم هنيئا مريا، ويذكرون أنه يقال: هنأني الطعام، ومرأني، إذا جاؤوا بالفعلين متوالين حذفوا همزة مرأني، فإذا حذفوه قالوا: أمراني، وتركوا الهمز).

ومثله كثير، وأصل ذلك أن يقال: مرأ، فيوقف على الهمزة الساكنة، إذا سكنت وقبلها الفتحة صيروها ألفا، كما في تأمر وتأسر، وعلى هذا الجوهري[5] والبرقوقي[6].

قال ابن سيده: ((قال: مرتك وإنما هو مرأتك، فأبدل إبدالا صحيحا))[7].

2. حذف الياء:

عند شرحه قول المتنبي:

إن تَرمِني نُكَباتُ الدَهرِ عَن كَثَبٍ ☐ تَرمِ امرَأً غَيرَ رِعديدٍ وَلا نَكِسِ

---

(1) ينظر: الإنصاف: 810/2 (الهامش).

(2) نفسه: 809/2-810 (الهامش).

(3) النظام: 427/8.

(4) الموضح: 42/3.

(5) الصحاح: 72/1 (مرأ).

(6) شرح البرقوقي: 239/2.

(7) شرح المشكل من شعر المتنبي: ابن سيده (458هـ)، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976: 153.

قال: ((فلما يقولون: نِكس، ويجب أن يكون هذا البيت محمولاً على: نَكِس يَنْكِس، كما أن (حنرا) محمول على: حَنِرَ يَحْنَر، وربما اجترؤا على حذف الياء من فعيل، فإن كان أراد نكيسا، فحذف الياء فقد يمكن إن كان حمله على نَكِسَ؛ لأن فعيلا، إذا كان اسم فاعل فهو أقرب من فعيل إذا كان معدولا عن مفعول))[1].

3. حذف الهاء:

عند شرحه قول المتنبي:

وَمالَ بِها عَلى أَرَكٍ وَعُرضٍ ☐ وَأَهلُ الرَقَّتَينِ لَها مَزارُ

روى[2] ابن المستوفي عن أبي الفتح أنه قال: اركة وعرض منزلان، وحذف الهاء من أركة ضرورة.

4. حذف الألف:

عند شرحه قول أبي تمام:

جَرى لَها الفَألُ بَرحاً يَومَ أَنقِرَةٍ

إِذ غودِرَت وَحشَةَ الساحاتِ وَالرِحَبُ

قال: ((والرحب جمع رحبَة ورَحَبَة، والأصل أن يقال: رحاب، بالألف فحذف لأنه حرف لين كما قالوا: ثل في جمع ثلّة، والأصل أن يقال: ثلال))[3].

5. حذف النون:

عند شرحه قول المتنبي:

جَلَلاً كَما بِيَ فَليَكِ التَبريحُ ☐ أَغِداءُ ذا الرَشَإ الأَغَنُّ الشيحُ

---

(1) النظام: 340/9، الموضح: 150/3.

(2) النظام: 353/8، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد الأندلسي (ت 487هـ)، حققه وضبطه وشرحه وفهرسه مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ-1996: 139/1، الموضح: 231/2.

(3) النظام: 26/2.

قال: ((قوله: (فليك التبريح) أراد: فليكن، لكنه حذف النون؛ لسكونها وسكون التاء الأولى من التبريح، وكان الوجه أن يكسرها لالتقائها؛ لأنها حرف صحيح، ولو لم يحذف لكان متحركا، وليس حذف النون هنا كحذفها من قوله: لم يكن شيء يا إلهي قبلكا؛ لأنه حذف النون من (يكن) وهي ساكنة، فضارعت بالمخرج والزيادة والغنة والسكون حروف المد واللين، فحذفت كما حذفن، وهي في (فليكن التبريح) قوية بالحركة، فكان ينبغي ألا يحذفها، ولكنه لم يعتدّ بالحركة في النون لما كانت غير لازمة ضرورة، وفي البيت قبح من جهة أخرى، وهو أنه حذف النون مع الإدغام، وهذا لا يعرف، لأن من قال في (بني الحارث) بلحارث لم يقل في بني النجار بنّجار، وهو قد قال: فليك التبريح، فحذف مع الإدغام، إلا أن يكون حذف النون من قبل، ثم جاء بالمدغم بعد))[1].

قال التبريزي: ((ينكر سيبويه أنه لا يجوز لأنه يذهب إلى أن النون تحذف في حال السكون مثل قولك: لا يك فعلك ذميما، لأن النون إذا ظهرت فهي ساكنة، فإذا وجب تحريكها في بعض المواضع لم يجز حذفها، وقد جاءت أشياء من حذفها في موضع التحريك، أنشد أبو زيد[2]:

لم يكُ الحقُّ سوى أنْ حاجَـهُ ☐ رسمُ دارٍ قد تعفّى بالسِّرر))[3]

فلو ظهرت النون هاهنا لقيل: لم يكن الحق، وفي بعض الرجز القديم:

ومن يكُ الدهر له بالمرصد

وهذه النون إذا حذفت، فشبهوها بالتنوين وهي أشد قوة منه؛ لأنها من نفس الكلمة، والتنوين زائد وقد أنشد سيبويه بيتا وقد حذفت فيه نون (لكن) في الموضع الذي يجب فيه تحريكها، وعلى ذلك قول النجاشي[4]:

---

(1) النظام: 223/5.

(2) البيت لحصيل بن عرفطة وهو جاهلي، ينظر: النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، نشر دار الشروق: 296.

(3) الموضح: 27/2.

(4) البيت من شواهد سيبويه: 27/1، والخصائص: 310/1، والإنصاف: 684/2، وأوضح المسالك: ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط6، 1980: 193/1.

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلاَ أَسْتَطِيعُه

وَلاَكَ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ

فلو ظهرت النون لقال: ولكن اسقني، فأما الفراء فيذكر أن قولهم: لاك لغة في لكن، فإذا حمل بيت النجاشي على ذلك فلا ضرورة فيه.

6. حذف التنوين:

ذكر ابن المستوفي حذف التنوين، عند شرحه قول المتنبي:

في رُتبَةٍ حَجَبَ الوَرى عَن نَيلِها ☐ وَعَلا فَسَمَّوهُ عَلِيَّ الحاجِبا

قال: ((أراد علياً الحاجب، فاضطر إلى حذف التنوين؛ لسكونه وسكون اللام من الحاجب))[1]، ذكر هذا البرقوقي[2]، لكنه قال: ومثله كثير وذلك كقراءة من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3]، بغير تنوين، حذفه لالتقاء الساكنين[4]، والذي يبدو لي أن حذف التنوين في قوله (علياً) يعود إلى الضرورة الشعرية.

رابعا: الإشباع:

عند شرحه قول أبي تمام:

فَيا وَشْلَ الدُنيا بِشَيبانَ لا تَغِض ☐ وَيا كَوكَبَ الدُنيا بِشَيبانَ لا تَخبُ

قال[5]: إن للشاعر أن يلحق ما كان من بنات الواو والياء مجزوما إذا أطلقه في قافية بما يكون فيه في الرفع، وأن يأتي عند الضرورة بالأفعال المعتلة اللام على أصولها، فيقول: لم تغزو، ولم ترمي، ولم تخشى، وهذا من الضرورات التي تقاس، وعلى هذا قول الشاعر[6]:

---

(1) النظام: 160/4.

(2) شرح البرقوقي: 256/1.

(3) سورة الإخلاص:1.

(4) قال الزمخشري: أسقط التنوين لملاقاته لام التعريف، والجيد هو التنوين. ينظر: الكشاف: 818/4.

(5) النظام: 289/2-290.

(6) هذا البيت من كلام قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، وهو من شواهد الإنصاف: 30/1، أوضح المسالك: 55/1.

أَلَم يَأتيكَ[1] وَالأَنباءُ تَنمي ☐ بِما لاقَت لَبونُ بَني زِيادِ؟

وقول الآخر[2]:

..... ☐ كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

في قول من جعل الكلام خبرا، ألا ترى أنه أثبت الألف في هذا كما أثبت الياء فيما قبله، وكما أثبت أبو تمام الواو في (لا تخبو)، وهذه المواضع متساوية في أنها للجزم، فهذه طريقة. وكثير من أصحاب سيبويه يذهبون إلى أن المحذوف في مثل هذا الكلام للجزم إنما هو حركة كانت في النية، ولم تظهر في موضع الرفع استثقالا، أو لأن الحرف لا تحتملها بعد انقلابه وذلك إذا قلت: هو يغزو ويرمي ويخشى، قالوا: والمحذوف هو تلك الحركة، وإنما حذفت هذه الحروف من بعد؛ لتكون ألفاظ الفعل المجزومة أنقص منها وهي غير مجزومة، وإذا كانت كذلك فإثبات الواو والياء والألف في هذه الطريقة عند الجزم في الكلام والشعر غير خارج في باب اللحن.

قال ابن المستوفي معلقا على قول المرزوقي: ((هذا الذي أطال القول فيه (رحمه الله) كلام ذكره النحويون فيما وقع من الأفعال المعتلة حشوا مجزوما على لفظ المرفوع، فأما ما وقع من نحو ذلك فيما فيه القافية فقد تعرض للقول عليه أولا ولم يشبعه، وهذا النوع إذا وقع فيما فيه الروي، فحكمه أن تلحقه مجزوما حروف الوصل (الألف أو الياء أو الواو)؛ لإقامة الوزن فيعود إلى صورة ما كان عليه في الرفع، وهو كثير في أشعارهم، وتكون الحروف التي تلحقه للوصل غير الحروف التي بُني عليها في الأصل، وإذا كانوا قد أطلقوا الفعل المجزوم الصحيح فحركوه بالكسر، لإقامة الوزن في نحو قول امرئ القيس[3]:

..... ☐ يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

---

(1) أراد ألم يأتك، فأشبع الكسرة فنشأت الياء، الإنصاف: 30/1.

(2) البيت لعبد يغوث بن وقاص في شرح المفضليات: 318، وصدره: وتضحك مني شيخة عبشمية.

(3) ديوانه: 95.

فهم -في إشباع حروف الروي من الأفعال المعتلة لاماتها المجزومة حتى ينشأ منها أحرف تسمّى (وصلا)- اعذر))[1].

خامسا: تحقيق الهمز وتخفيفه:

الهمزة: مخرجها من أقصى الحلق، ولكن اللغويين وأولهم الخليل يرى أنها صوت غير مستقر، إذ سرعان ما يتغير إلى حرف معتل[2]، جاء في لسان العرب: ((والهمزة كالحرف الصحيح، غير أن لها حالات من التليين والحذف والإبدال، تعتل فألحق بالأحرف المعتلة الجوف وليست من الجوف، إنما هي حلقية في أقصى الفم، ولها ألقاب كألقاب حروف الجوف))[3]، ((وذلك أنها إذا خففت أو لينت أصبحت حرفا من حروف الجوف كالألف والواو والياء، فيقال في ذئب: ذيب، وفي رأس راس، وفي شؤم شوم))[4]. ((والعرب في تليينها أو تحقيقها على مذهبين، فالتميميون يذهبون إلى تحقيقها وإعطائها حقها من النبر، ولذلك قالوا في الرأس: والرأس مذكر ويهمز ولا يهمز.. والعرب تقول: الراس بلا همز، إلا أن بني تميم يقولون: الرأس والكأس بالهمز))[5].

وفي كتاب النظام، ذكر ابن المستوفي ألفاظا مهموزة أبدلت همزتها تخفيفا، فعند شرحه قول أبي تمام:

أقري السَلامَ مُعَرِّفاً وَمُحَصِّباً ☐ مِن خالِدِ المَعروفِ وَالهَيجاءِ

قال: ((هذا البيت يروى على وجوه، وأجودها وأليقها باللفظ أن يقول: أقري السلام معرفا ومحصبا، ويكون من قرأت على فلان السلام، وأقرأته غيري، وتخفف الهمزة، فإن خففت للضرورة أثبت الياء في الخط كأن القائل أراد أن يقول: أقرئ السلام، فخفف وبقيت الياء، وإن كانت الهمزة خففت قبل أن يرام نظم الكلمة فلا ضرورة فيها))[6].

---

(1) النظام: 2/290-291.

(2) مباحث في علم اللغة واللسانيات: 115.

(3) لسان العرب: 1/17.

(4) مباحث في علم اللغة واللسانيات: 116.

(5) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973: 77.

(6) النظام: 1/209-210.

والذي يبدو لي أن ما جاء في بيت أبي تمام هو وهم، والصحيح هو أن يقول: اقرأ السلام؛ لأن قوله (اقري السلام) اجعله أن يقرأ السلام[1].

وعند شرحه قول أبي تمام:

لَمّا قَرا الناسُ ذاكَ الفَتحَ قُلتُ لَهُم

وَقائِعٌ حَدِّثوا عَنها وَلا حَرَجا

قال: ((أراد قرأ الناس، من قراءة للكتاب، فخفف الهمزة، ولا يجوز أن يحمل على غير هذه اللفظة من: قرى الضيف، ولا من قرَأ الشيء، إذا تتبعته، وتخفيف الهمزة في مثل هذا معروف))[2].

وعند شرحه قول أبي تمام:

لَمّا حَلَلتَ الثَغرَ أَصبَحَ عالِياً □ لِلرومِ مِن ذاكَ الجِوارِ جُوارُ

رُوِيَ عن أبي العلاء أنه قال: ((يقال: جاورتهم جوارا، والجوار بضم الجيم اسم، والأحسن على مذهب الطائي أن تخفف همزة جؤار وتجعل واوا؛ لأن الجؤار بالهمزة ليس من لفظ الجوار الذي هو للمجاورة، فإذا خففت الهمزة وضممت جيم الجوار الذي هو اسم للمجاورة فالتجنيس كامل، وإن كسرت الجيم فهو مخالف بالحركة لا غير))[3].

وعند شرحه قول أبي تمام:

فَكَّت أَكُفُّ المَوتِ غُلَّ قَصائِدي □ عَنهُ وَضَيغَمُها عَلَيهِ يَزيرُ

قال: ((زأر الأسد يزأر يزئر، فقوله: يزير على لغة من قال: يزئر، والمستعمل في كلام العرب أنهم إذا ألقوا حركة الهمزة على ما قبلها طرحوها من الكلمة، فالقياس المستمر إذا خففوا الهمزة في يزئر يزِرُ، وإذا خففوا من يزأر قالوا: يزر، والقياس يدل

---

(1) التهذيب بمحكم الترتيب: ابن شهيد الأندلسي (ت 426هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2002: 45.

(2) للنظام: 120/5.

(3) نفسه: 42/8.

على جواز قولهم: يزير في يزئر، وذلك أنه لما ألقوا حركة الهمزة على الزاي بقيت ساكنة فجعلوها ياء كما جعلوها كذلك في بئر وذئب))[1].

وعند شرحه قول أبي تمام:

أيُّ ذي سُؤدَدٍ يُناويكَ فيهِ □ ظالِماً وَالنَدى بِذَلِكَ قاضِ[2]

قال: ((يناويك: أصل المناوأة الهمز، ويجوز تخفيفها إذا قيل إنها من النوء، وهو النهوض، فإذا أخذت من النيّة فلا أصل لها في الهمز))[3].

سادسا: اللغات واللهجات:

اعتاد اللغويون والنحاة القدامى أن يطلقوا على اللهجة اسم اللغة، فيقولون: لغة قريش، ولغة الحجاز، وتتصف اللهجات العربية بصفات خاصة، بحيث تمتاز لهجة من الأخرى بظواهرها اللغوية، ولكنها تأتلف فيما بينها بظواهر لغوية أخرى[4].

وإن دراسة اللهجات العربية القديمة لها أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية الحديثة، فعن طريقها يمكننا معرفة التطور في دلالة الألفاظ ومعرفة ما تؤديه تلك المفردات من معان مختلفة، تبعا لاختلاف البيئات، وأنها تعيننا في نسبة كثير من اللهجات الحديثة إلى أصولها من اللهجات القديمة، ثم إنها مفيدة في رسم الخارطة اللغوية للتوزيع اللهجي وانتشار القبائل العربية وهجرتها وأماكن سكناها قديما وحديثا، وتساعد اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة في فهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشوئها وتطورها ومدى تأثير البيئة فيها[5].

وقد نبّه ابن المستوفي في كتابه على جملة من اللغات واللهجات، وذلك على النحو الآتي:

---

(1) النظام: 215/8.

(2) رواية الصولي: به لك قاض.

(3) النظام: 116/10.

(4) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: غالب المطلبي، دار الحرية، بغداد، 1978: 29.

(5) ينظر: فقه اللغة: د. حاتم الضامن، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، 1990: 47.

1. ذكر ألفاظا فيها لغتان أو ثلاث أو أكثر من ذلك:

نحو: الكَتَد والكَتِد لغتان[1]، الجَهْد والجُهْد[2]، الطَّرْد والطَّرَد لغتان[3]، والعكـرة والعُكرة[4]، والمَحَاش والمُحاش[5].

ولنفصل في مثالين، فعند شرحه قول المتنبي:

عَلا كَتَدَ الدُنيا إلى كُلِّ غايَـةٍ ☐ تَسيرُ بِهِ سَيرَ الـذَلولِ لِراكِـبِ

قال[6] نقلا عن أبي الفتح: الكَتَد والكَتِد لغتان[7]، وهما أصل العنق، وقيـل: هـو مجتمع رؤوس الكتفين من الفرس.

وعند شرحه قول المتنبي:

وَأَنَّ إِعطاءَهُ الصَوارِمُ وَالخَيـلُ ☐ وَسُـمرُ الرِمـاحِ وَالعَكَـرُ

قال[8]: العَكْرة والعَكَرة لغتان، قال الجوهري[9]: العكرة: الكرة.

ومن الأمثلة على ما فيه ثلاث لغات، الذي، فعند شرحه قول أبي تمام:

لَو لَم تَكُن مِن ذا الوَرى الَّذي مِنكَ هو

عَقِمَـت بِمَولِـدِ نَسلِها حَـوّاءُ

قال: ((وفي الذي لغات منها ما في هـذا البيـت، وهـو اللّـذ بـسكون الـذال وكسرها)[10]، قال: (وقد عد الناس اللذ لغة في (اللذي)، ويمكن عندي أن يكـون ذلـك

---

(1) النظام: 240/4.

(2) نفسه: 158/7.

(3) نفسه: 385/7.

(4) نفسه: 290/8.

(5) نفسه: 7/10.

(6) نفسه: 240/4.

(7) الصحاح: 530/2 (كتد).

(8) النظام: 290/8.

(9) الصحاح: 756/2 (عكر).

(10) النظام: 438/1.

صنعة لا لغة، وذلك أنه يجوز أن يكون حذف الياء تخفيفا لطول الاسم بصلته فصار (اللذ).. فلما صار إلى (اللذ) أسكن استثقالا لكسره، وإتباعا لإقامة الوزن))[1].

ومن الأمثلة على ما فيه أكثر من ثلاث لغات، عند شرحه قول المتنبي:

تَسَلَّ بِفِكرٍ في أَبيكَ فَإِنَّما
بَكَيتَ فَكانَ الضِّحكُ بَعدَ قَريبِ

قال: ((أبيك يريد: أبويك، وهي لغة معروفة، تقول العرب: أبو أبوان وأبون وأبين، قال: وأخذت عن أبي بكر محمد بن الحسين عن ثعلب يقال: هذا أبك وهذا أباك وهذا أبوك، ثلاث لغات، فمن قال: هذا أبُك، قال: هذان أباك، أب وأبان، ويجوز فيه أبوان، ومن قال: أباك وأبوك فتثنيتهما واحدة أبوان، وأنشد:

سوى أبكَ الأدنى وإن محمداً ☐ علا كل عالٍ يا ابن عمّ محمد

وأما الضحك ففيه أربع لغات: ضَحِك وضَحَك وضِحك، وكذلك كل ما كان على فَعِل وثانية حرف حلق، نحو: فَخِذ وصَعِق))[2].

ولذي يبدو لي أنها ثلاث لغات[3]:

2. الإشارة إلى اللغات المشهورة:

نحو: حمير، وربيعة، وطيء، وتميم، فعند شرحه قول أبي تمام:

بُدُورٌ قُيولٌ لَم تَزَل كُلُّ حَلبَةٍ ☐ تَمَزَّقَ مِنهُم عَن أَغَرَّ مُحَنَّبِ[4]

قال: ((يروى ذوون قبول، ثم نقل قول أبي العلاء: ذوون، جمع قولك ذو مرحب وذو جدن وذو يزن، وذلك في حمير كثير، وهم الأنواء، وقلما يقولون الذوون))[5].

---

(1) التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكّري: ابن جني، تحقيق د. نوري حمودي القيسي وآخرين، بغداد، 1381هـ-1962: 42.

(2) النظام: 278/3، وينظر: شرح البرقوقي: 180/1.

(3) المثلث: ابن السيد: 240/2.

(4) رواية الصولي والتبريزي: (مجيب) مكان (محبب).

(5) النظام: 214/2.

وذكر ابن المستوفي لهجة ربيعة عند شرحه قول أبي تمام:

وهـــلْ ذاك أوسٌ مـــن فريـــقٍ عهدتُـــــــــــــــهُ □ بها والنـــوى ملتامـــة لم تُخَلَّـــجِ

قال: ((قوله: ملتامة أراد: ملتئمة، فسكن الحرف على لغة ربيعة، فلمـــا ســـكنت الهمزة وقبلها فتحة جعلها ألفا))[1].

وعند شرحه قول أبي تمام:

بَدرٌ أطاعَت فيه بادِرَةَ النَّـــوى □ وَلَعاً وَشَمسٌ أولِعَت بِشِماسِ[2]

قال: ((روى الصولي: بدر أطاعت فيك باردة ولعا.. ثم قال نقلا عن التبريزي: ولعا: نصب على المصدر، وهو مصدر ولع ولعا، وهو لغة طيء))[3].

3. وقد يذكر ابن المستوفي أحيانا مستويات لغوية في تفسيره طائفة من المسائل اللغوية التي غلب عليها المنهج الوصفي، إذ نجده معياريـــا فـــي بعـــضها، كوصفه إحدى اللهجات بالأجود أو بالأفصح أو الرداءة أو العالية أو الجيـــدة أو الشاذة.

فعند شرحه قول أبي تمام:

بِنتانِ كَالقَمَرَينِ حُفَّ سَـــناهُما □ بِكَواعِبٍ مِثلِ الدُمى أتـــرابِ[4]

قال: ((يروى ثنتان، واثنتان أفصح اللغتين، أن يقال: اثنتان وثنتان كثيـــرة فـــي أشعار الفصحاء))[5].

ونجده أحيانا يصف اللغة بأنها شاذة، عند شرحه قول أبي تمام:

مِن كُلِّ مُهراقِ الحَياءِ كَأَنَّمـــا □ غَطّى غَديرَي وَجنَتَيهِ الطُحلُـــبُ

---

(1) النظام: 139/5.

(2) رواية الصولي والتبريزي: (أطاعت فيك) مكان (فيه) و(لعاً) مكان (حظاً).

(3) النظام: 231/9.

(4) رواية الصولي والتبريزي: (ثنتان) مكان (بنتان)، و(مول الدمى) مكان (مثل المها).

(5) النظام: 78/2.

قال: ((سكّن الهاء على لغة من قال: أهرقتُ والذين قالوا: هرقت، يقولون مُهَراق يفتحون الهاء))[1]، وقال الجوهري: ((هَراق الماء يهريقه بفتح الهاء هَراقةً، أي صبّهُ وفيه لغة أخرى: أهرق الماء يُهْرقه إهراقاً، على أفعل يُفعِل، وفيه لغة ثالثة: أهْراق يُهريق إهراقا، والشيء مُهْراق ومُهَراق أيضا بالتحريك، وهو شاذ))[2].

وعند شرحه قول أبي تمام:

إذا ظُلُماتُ الرَأيِ أسدلَ ثَوبُها ☐ تَطَلَّعَ فيها فَجرُهُ فَتَجَلَّتِ

قال: ((المعروف سُدِل وهي اللغة العالية، ويجوز أُسدِل))[3].

وعند شرحه قول أبي تمام:

ظَلَتَ بِها تَبطَوي عَلى كَبِدٍ ☐ نَضيجَةٍ فَوقَ خِلبِها يَدُها

قال: ((يقال: ظَلْتَ عليه عاكفاً وظِلتَ.. وأجود لغتيها ظلت بفتح الظاء)[4]، وسبب في كونها أجود هو ورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾)[5].

---

(1) النظام: 173/2.

(2) الصحاح: 1569/4-1570 (هرق).

(3) النظام: 13/5.

(4) نفسه: 410/6.

(5) سورة طه: من الآية97.